التربية والقيم في قصص الأطفال الدينية لجودة السحار: دراسة تحليلية ونقدية

د. وسيم حسن راجا[١]

الملخص

الطفل هو أمل المستقبل وثمرة الغد، فهو الشاب المنتظر الذي يُعوّل على صلاحه في بناء مجتمع قوي ومزدهر، ويمثل قوة دافعة نحو نهضة الأمة وعزّتها. ولأهمية دوره، يحظى الطفل بمكانة مرموقة في المجتمعات. تلبيةً لاحتياجات الأطفال المتزايدة إلى مواد قرائية تتناسب مع أعمارهم وطبائعهم، بدأ بعض الناشرين بالاقتباس من الأساطير والحكايات الشعبية والدينية، مع تبسيطها لتقديم محتوى يُلبي هذه الحاجة ويُعالج الفجوات الثقافية. إلا أن القرن التاسع عشر شهد ولادة مفهوم "أدب الأطفال" بشكل واضح، ليزدهر هذا المجال في القرن العشرين مع ظهور مجلات الأطفال وكتبهم، إلى جانب ازدهار برامجهم على الإذاعة وشاشات التلفاز. وهذا المقالة تسلط الأضواء على أهمية أدب الأطفال ومساهمة القصص الدينية لجودت السحار في تهذيب الأطفال وتثقيفهم.

الكلمات المفتاحية: جودة السحار وأدب الأطفال الديني، القيم التربوية التعليم

أصبح "أدب الأطفال" مجالاً مستقلاً له قواعده وأصوله المستمدة من فهم عميق لنفسية الطفل، ومعرفة بيئته وماضيه، إضافة إلى التطلّع إلى مستقبل الأمة التي ينتمي إليها. وقد أولى الكاتب جودة السحار اهتماماً خاصاً لهذا النوع الأدبي، لا سيما فيما يتعلق بالقصص الدينية للأطفال.

أدرك السحار أهمية القصص الدينية في غرس القيم التهذيبية والتربوية، لبناء

---

١ الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، أونتي بورة كشمير

شخصية إسلامية متكاملة في نفوس الأطفال. وفي هذا السياق، قدّم أربع مجموعات من القصص الدينية، تتناول جوانب مختلفة من التاريخ الإسلامي، بدءاً بقصص الأنبياء، مروراً بالسيرة النبوية من هاشم بن عبد مناف إلى وفاة الرسول ﷺ، ثم قصص الخلفاء الراشدين، وأخيراً قصص حياة العرب في أوروبا حتى آخر أيامهم في الأندلس. كل مجموعة عُرضت بأسلوب يتناسب مع خصوصيات أدب الأطفال، مما ساهم في ترسيخ هذا النوع الأدبي كأداة تعليمية وتربوية فعالة.

كان السحار من أبرز إسهاماته مجال قصص الأطفال، حيث اختار الجانب الديني ليكون منبراً لنقل قيم الدين الإسلامي ومبادئه بأسلوب مبسّط وجذّاب. عبر قصصه، حرص السحار على ترسيخ الشعور الديني لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم، لتجيب على تساؤلاتهم الفطرية حول الله والكون وسر الوجود.

قدّم السحار مجموعة قصصية دينية غنية، استهدفت إثراء مكتبة الطفل العربي بفوائد جليلة. من خلال هذه القصص، يجد الأطفال إجابات شافية على كثير من الأسئلة التي تدور في أذهانهم، مما يعزز فهمهم لدينهم ويغرس فيهم القيم الأخلاقية والتربوية بشكل ممتع ومؤثر.[١]

يُعد عبد الحميد جودة السحار من القلائل الذين تركوا بصمات فريدة وإسهامات بارزة في تطور الأدب العربي، خاصة في مجال القصة. وقد جاء قبله كبار الكتاب الذين لعبوا دورا هاما في ترسيخ جذور القصة وتوسيع دائرتها ولكن السحار نوّع عالمه ولون دنياه ونوَّع اتجاهاته وجوانبه خاصة في الإسلامية والتاريخية هكذا أجاد في مجال القصة. فنجده كاتب القصة بارعًا متخصصاً في هذا المجال بأسلوب شيّق عميق جذاب يُشبع به رغم قصرها وله أيضاً باع طويل في القصة الطويلة أي الرواية، وله تجربة في اختيار الحدث الذي تدور حوله القصة وتحريك شخصياتها بطريقة مثقفة. ومن يطّلع على قصصه يتعرف على الأحداث المتنوعة التي يتناولها

١ القصة عند عبد الحميد جودة السحار لفاطمة الزهراء المرافي ص/٢٧١

سواء أكانت اجتماعية وتاريخية وسياسية ودينية، فإنه يجد أمامه فنانا مبدعا.

ولد عبد الحميد جودة السحار في ٢٥ أبريل عام ١٩١٣م في بيت صغير بحي العباسية في أسرة من الطبقة المتوسطة حرفتها التجارة وكان من الأسرة التي كان أصلها من عرب الخليل في فلسطين وهذه الأسرة قد جاءت مصر في أواخر القرن الماضي ومنذ ذلك اليوم استقرت فيها. عاشت هذه الأسرة مجتمعة في بيت واحد مع الجد والجدة والأخوال والأعمام، وكان لارتباطه الأسري أثر عظيم في نشأة السحار وتربيته، كما كان معظم أفراد الأسرة يتمتعون بقدر كبير من الصلاح والتقوى وملتزمين بالدين وتعاليمه وعقيدته.

استكمل السحار دراسة المرحلة الابتدائية بمدرسة الجمالية الابتدائية في سنة ١٩٢١م ثم التحق بمدرسة فؤاد الأول الثانوية وبعد ما انقضت الدراسة الثانوية التحق بالجامعة حيث حصل على الليسانس سنة ١٩٣٤م وانشغل بالحياة لكسب الرزق. انتقل إلى جوار الله تعالى هذا القاص البارع الأديب العملاق في ٢٢ يناير عام ١٩٧٤م بعد حياة حافلة تشدي والإبداع وخلف ورائه أعماله الأدبية.

وحرر صاحبنا جودة السحار في هذا المجال (قصص الأطفال) في أربع مجموعات، فقد ناقش في المجموعة الأولى التي تحمل في طياتها ثمانية عشر جزءا عن الأنبياء الذين سبقوا سيدنا محمدا برسالاتهم.

أما المجموعة الثانية، فهي تعد طريقة تيسير للسيرة النبوية الشريفة، وعرضها السحار للأطفال في أربعة وعشرين جزءا بدأها بالحديث هاشم بن عبد مناف جد الرسول، ثم أكملها بوفاة رسول الله ﷺ.

المجموعة الثالثة تتعلق حول الخلفاء الراشدين الذين خلفوا الرسول الكريمﷺ في إرشاد شؤون المسلمين بادئا بالحديث عن الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم مر بمن جاء بعده من الخلفاء وختم هذه المجموعة بالحديث عن فضل الإمام علي رضي الله عنه.

وبعد تنقيحه واستعراضه لسيرة الإسلام، وما جرى فيها من خلافات، ناقش

السحار ازدهار الإسلام وانتشاره في مشارق الأرض ومغاربها على يد القواد العرب الذين ذاع صيتهم وملأ الآفاق، وخصص لهذا الجانب أربعة وعشرين جزءا أيضا، أدرجها تحت عنوان "العرب في أوروبا"

وأثناء إلقاء النظر على عناوين هذه المجموعات، عرفنا أن السحار لم يترك أية معلومة تمس الدين الإسلامي سواء كانت هذه المعلومة إرهاصات لظهور هذا الدين الجديد، أم كانت معلومة توضح وتجلي أبعاد هذا الدين الذي تدور حوله العديد من التساؤلات في عقول أطفالنا الصغار. فكانت هذه المجموعة أبسط الطرق وأيسرها لتقديم ما يشفي غليل الصغار الذين يولدون ولديهم حب الاستطلاع.

وكذلك الطريقة التي عني بها السحار في هذه الأعمال الدينية التعليمية، نجده لجأ إلى البساطة في التعبير وإلى توضيح ما يراه غامضا على الأطفال أو لا تستوعبه مداركهم. ففي المجموعة الأولى "قصص الأنبياء" ألقى السحار الضوء على بداية الخلافة حتى يسير مع الأطفال خطوة بخطوة. ولا يترك تساؤلا دون أن يضع له إجابة. فإن الأطفال لو حدثناهم مباشرة عن نزول الرسالات السماوية على الأنبياء لا بد أن يتبادر إلى أذهانهم سؤال يكون فحواه، من الذي أرسل هذه الرسالات؟ ولهذا رجع السحار إلى بداية الخلافة، وذلك في الجزء الأول من هذه المجموعة، الذي أطلق عليه "آدم وحواء" فنجد السحار استهل الحديث في هذا الجزء بأسلوب غاية في البساطة والوضوح، مستعملا أوضح الكلمات وأيسرها، فنجده يصف حال الكون قبل أن يخلق الله آدم، قائلا: "في زمان قديم قديم جدا، لم يكن يعيش في هذه الأرض، التي نعيش عليها الآن. أحد يعمرها، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق الإنسان ليعبده وليعمر الأرض، فيزرعها، ويبني فيها البيوت، ويخط الطرقات.[١]

وبعد هذا التصوير الذي قدمه كاتبنا جودة السحار عن الكون قبل أن يسير عليه الإنسان بدأ يركز على قصة خلق آدم ثم خلق حواء وإغواء الشيطان لهما ثم

---

١ قصص الأنبياء للأطفال آدم وحواء، السحار ص ٥

ختم الحديث بخروج آدم وحواء من الجنة، ثم واصل السحار طريقه الذي رسمه في تقديم هذا العمل الذي أفاد الصغار، فنراه يوجههم ويعلمهم الصفات الحسنة التي يجب أن يتمتعوا بها حتى يرضى الله عنهم، وهذا وضح في الجزء الثاني "قابيل و هابيل" عندما ذكر على لسان آدم بعد أن قدم قابيل وهابيل عطاياهم لله تقربا وزلفى، فقبل الله عطية هابيل، ورفض عطية قابيل، فقال له آدم: "بل تقبل الله منه لأنه قدم أطيب ما عنده، وقلبه صاف، أما أنت فقدمت إلى الله أردأ ما عندك، وقلبك ردئ، إن الله طيب لا يحب إلا الطيب"[١]

ويشير جودة السحار بنفسه إلى الهدف الرئيسي الذي من أجله أقدم على كتابة هذه الأعمال الدينية، ليضمها إلى مكتبة الطفل التي زخرت بأنواع مختلفة قدمت للأطفال، ولكن أحدا لم يفكر في اللجوء إلى القصص التي وردت في القرآن الكريم يقول السحار:

> "فكرنا في هذا، فأخرجنا هذه السلسلة، ولقد رأينا فيها اعتبارين: الأول أن تكون النصوص القرآنية هي المصدر الأول لما نكتب، إذ كنا نعتقد أن للقرآن في هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة، والثاني أن السرد الفني للقصص بما يربى في الطفل الشعور الديني، ويقوي الحاسة الفنية وينمي الذوق الأدبي"[٢]

والسحار مغرم بالوصف، وبرغم أنه يقدم هذه الأعمال للأطفال إلا إنه يراعي فيها تسلسل الحكاية وحبكتها، يسير مع الحدث منذ البداية إلى النهاية ولم يترك فراغا دون أن يملأ وقد وضح ذلك في عرضه لقصة "أهل الكهف" حيث تحدث في البداية عن مراسيم العبادات التي يقوم بها الملك وحاشيته، ورفض بعض الشباب تلك الأوضاع ثم اجتماعه مع آخرين وهروبهم من البلد ولجوئهم إلى أحد الكهوف، حيث

---

١ قصص الأنبياء للأطفال آدم وحواء، السحار ص ٨

٢ قصص الأنبياء للأطفال مقدمة الجزء الخامس يوسف الصديق ص٨

رقدوا وظلوا على وضعهم هذا ثلاثمائة سنة، بعدها خرج أحدهم لشراء ما يحتاجون من طعام وشراب، فوجد الحال قد تغير، فعاد إلى إخوانه مع حشد غفير من الناس، بينهم حاكم البلد الجديد المؤمن بالله، فدخل الشاب على إخوانه، وانتظر الجميع خروجهم، لكنهم ماتوا مرة أخرى. وهذا أكبر دليل على قدرة الله على إحياء الموتى من جديد.[١]

والمجموعة الثالثة تناول فيها جودة السحار السيرة النبوية الشريفة وعرضها للأطفال في أربعة وعشرين جزءا، بدأها بالحديث السريع في لمحات عن سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل ثم انتقل إلى قريش حيث أظهر هاشم بن عبد مناف في سياق الحدث ثم بدأ يتابع أعماله ومكانته العظيمة بين قومه، وانتهى هذا الجزء بميلاد شيبة بن هاشم والذي أطلق عليه بعد ذلك عبد المطلب جد الرسول الكريم ﷺ.

وكتب السحار في الجزء الثاني عن عبد المطلب وولايته أمر العرب، ورأيه وموقفه من معركة الأحباش وكان في ذلك العام مولد الرسول الكريم ﷺ، ثم تابع السحار عرض أحداث السيرة التي سبق وقدمها للكبار. ولكننا نراه هنا يقدمها بأسلوب بسيط، غاية في البساطة وبتسلسل يتقبله عقل الأطفال، فبعد أن حدثهم عن إبراهيم، انتقل لعبد المطلب، ثم لعبد الله بن عبد المطلب وزوجته آمنة اللذين تزوجا، وكانت ثمرة زواجهما " محمد رسول الله ﷺ" ثم ركز السحار الحديث على الرسول ﷺ وحياته، مفصلا كل حدث مر بحياة الرسول ﷺ منذ زواجه بخديجة ونزول الوحي عليه، وما لاقاه من عذاب واضطهاد في سبيل نشر ما كلفه به الله، حتى دانت كلمة الله، وخضع لها العالم أجمع، وأنهى السحار أجزاء السيرة بوفاة الرسول الكريم ﷺ.

وأما المجموعة الثالثة. فقد خصصها السحار للحديث عن الخلفاء الراشدين،

---

١ القصة عند عبد الحميد جودة السحار لفاطمة الزهراء الموافي مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ١٩٨١م ص/٢٧٥

مبتدئا بالحديث عن أبي بكر الصديق الخليفة الأول، منذ مبايعته المسلمين له بالخلافة ماروراً بالأحداث التي مرت في حياته والمعارك التي دخلها في سبيل المحافظة على الأمانة التي تركها الرسول الكريم ﷺ، ثم تحدث عن عمر بن الخطاب وعدله ومواقفه من الرعية والفتوحات التي تمت في عهده، كما ذكر عثمان بن عفان والخلافات التي نشبت في عهده بين المسلمين بعضهم البعض وقد أبان السحار للأطفال أن الخلاف والشقاق لا نتيجة من ورائهما إلا تفرق شمل المسلمين واختلاف كلمتهم، وكل ذلك أدى إلى مقتل إمامهم "عثمان بن عفان" واستمر هذا الخلاف بين المسلمين، في عهد علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين حين بلغ الصراع ذروته على السلطة أيام حكمه وانتهت أيامه بقتله.

وكذلك نلاحظ أن السحار أخرج من حياة الخلفاء، نماذج عديدة تضرب بها الأمثال للأطفال على الاتحاد الذي تكون فيه القوة التي يستطيع بها الإنسان أن يقف في وجه العواصف أما التفرق الذي يأتي نتيجة الخلاف، فيجعل الناس لقمة سائغة في أفواه الجبابرة.

وقد ذكر جودة السحار عقب وفاة الرسول الكريم ﷺ، أن المسلمين اختلفوا على انتقاء خليفة رسول الله ﷺ، وكان علي بن أبي طالب له الحق في الخلافة لكنه حرصا على توحيد الإسلام، تنازل عن رغبته فيقول السحار:

"فأطرق علي يفكر، نعرف أنه إذا خاصم أبا بكر، فسيتفرق المسلمون يضعفون وقد يقضي ذلك على الإسلام"[١]

والطريقة التي ذكر بها كاتبنا جودة السحار هؤلاء الخلفاء وأعمالهم فهي طريقة تميل إلى السهولة واليسر، لا تشوش وتعقيد فيها، ولا ذكر لأحداث غير واضحة، بل تحدث عن الوقائع بلغة سهلة، واستعمل في ذلك الكلمات ذات الحروف الكبيرة، بالإضافة إلى ذلك لجأ إلى تشكيل الحروف، حتى يستقيم لسان الأطفال في النطق

١ قصص الأطفال الدينية السيرة النبوية، أبو بكر الصديق ص/١٥

وهو بهذا قام بدور مهم في تثقيف الأطفال وتعليمهم وتنوير لسانهم.

وبعد هذا العرض النفيس الذي أتى به السحار سيرة الإسلام حتى وصل إلى علي بن أبي طالب، أراد السحار أن يزود الأطفال بمعلومات هامة عن نشاط العرب خارج وطنهم العربي، وأطلق على هذه المجموعة التي حدّدها وكرّسها لذلك، "العرب في أوروبا" وقدم من خلالها أقاصيص تحمل بين طياتها، صفحات كثيرة قدمها السحار للأطفال حتى تنمو معهم بعد أن عرفوا فضلها، ففي الجزء الأول، أتى السحار بأسطورة حدثت في بلاد الأندلس، تدل على الحكمة واستعمال الذكاء اللذين يخلصان صاحبهما من أي ورطة يقع فيها، فقد حدثهم عن أميرة يونانية جميلة، تقدم لخطبتها كافة الملوك طامعين في الزواج منها، ولكنها لجأت إلى الحيلة وحكمت عقلها، حتى أبعدتهم جميعا عن طريقها وتزوجت من أحدهم دون أن تبقي رواسب حقد في قلوب الآخرين حتى لا يعادوا والدها وتصبح الأندلس ميدان معارك بسببها.

وبعد ذلك ذكر السحار عن أوضاع متعددة وكثيرة للعرب في بلاد الفرس، وبلاد الأندلس. ومن وقت لآخر يركز الضوء على بعض القادة الذين ذاع صيتهم وألفت حولهم القصص. فقد أطلع السحار الأطفال عليها في مناهج دراسية ومن هؤلاء "طارق بن زياد" و "موسى بن نصير" كما ذكر السحار مواقف العرب في فرنسا بعد غزوها في سبيل نشر الإسلام وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية.

وكان جودة السحار في بعض الأحيان، يقدم للأطفال بعض الصور الفنية التي تنمي حاستهم وتذوقهم للأدب.

وهكذا نرى أن كاتبنا السحار عرض للأطفال مجموعات حافلة عن الإسلام وانتشاره، وتنقل بالحديث عن مختلف البلدان التي كان للإسلام فيها مكانة، كذلك أمدّ السحار الأطفال بالعديد من المعلومات عن دينهم بأسلوب سهل وألفاظ بسيطة.

ويظهر خلال قراءة كتاب قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، أن السحار عميق الصلة بالقرآن الكريم، مستحضر لآياته في كل موقف، يبين درر سوره في كل وقفة، يحسن الاستشهاد بها غاية الإحسان، وله ذوق متفرد في فهم الآيات.

إن السحار يعمّق ارتباطه بالقرآن الكريم، وهو أمر غير مستغرب، فالقرآن هو كتاب الخلود، ودستور الإسلام، وركيزة العقيدة، وأساس الشريعة. لذلك، استشهد المؤلف بالآية الكريمة ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ ليؤكد أن وراء متع الدنيا الزائلة يكمن نعيم الآخرة الذي لا ينتهي وحياة أبدية مليئة بالسعادة.

لكن جمال أسلوب السحار لا يقتصر على الاستشهاد بالآيات القرآنية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تضمين مقالاته بنصوص قرآنية تخدم فكرته وتعمّق المعنى. يظهر هذا جلياً في قوله" :وكان يوم بدر يوم الفرقان، يوماً على الكافرين عسيراً، يوماً فرّق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، يوماً ابيضت فيه وجوه المسلمين واسودت وجوه المشركين".

بهذا الأسلوب، يجمع السحار بين قوة التعبير الأدبي وعمق الرسالة القرآنية، مما يعزز التأثير الروحي والفكري في نفوس القراء، ويجعل من أعماله نموذجاً يحتذى به في توظيف النصوص المقدسة لتوضيح المعاني وبناء الحجج.

الخاتمة

نخلص إلى أن عبد الحميد جودة السحار يُعد من الرواد الأوائل الذين ساهموا في تطور وازدهار أدب الأطفال، خاصة في الجانب الديني. كان هدفه الرئيسي من قصصه هو التربية والتهذيب، حيث أدرك بوعي تام أهمية جميع عناصر أدب الأطفال، مع التركيز على خصائص القصة وفنونها.

انطلق السحار في هذا المجال بدافع إدراكه لقصور الأدب المترجم والمعرّب عن تلبية احتياجات الأطفال العرب، إذ لم يكن مناسباً للبيئة العربية وعاداتها. لذلك، وضع منهجاً فريداً لتأليف قصص الأطفال، مستلهماً محتواها من قصص القرآن الكريم، التي وجد فيها جمالاً وإبداعاً فريداً.

أكد السحار على ضرورة أن تكون النصوص القرآنية المصدر الأساسي لما يُكتب للأطفال، مع التركيز على السرد الفني الذي يعزز الشعور الديني، وينمي الذوق الأدبي،

ويسهم في تربية الطفل وتعليمه بأسلوب مشوق ومؤثر. بهذا، رسّخ السحار نهجاً أدبياً يجمع بين القيم التربوية والجمالية، مما جعله علامة بارزة في مجال أدب الأطفال.

المصادروالمراجع

- السحار، عبد الحميد جودة: قصص الأطفال الدينية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٤٦م
- السحار، عبد الحميد جودة: قصص العرب في أوروبا، مكتبة مصر، الفجالة ١٩٧٠م
- السحار، عبد الحميد جودة: القصة من خلال تجاربي الذاتية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٤١م
- الزهراء الموفي، الفاطمة: القصة عند عبد الحميد جودة السحار، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٨١م
- زيد، د. صفوت: التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ
- صبحي، عبد المنعم: السحار مفكرا أديبا وسينمائيا، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٧٤م
- غريب، مأمون: السحار ... والفكر الإسلامي، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م